محاضرات في علوم القرآن جامعة بابل ـ كلية التربية

للعلوم الإنسانية

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الأولى : تمهيد في القرآن وعلومه .

القرآن : هو الوحي المنزّل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلّم على سبيل الهداية والتشريع والإعجاز ، وهو كلام الله العربي المبين الذي يُتعبَّدُ بتلاوته .

وللعلماء آراءٌ في أصل اشتقاق لفظ القرآن ودلالته اللغوية ، وفي هذا يقول الفراء (ت 207 هـ )

(( والقراءة والقرآن مصدران ، كما تقول ُ : راجحٌ بيِّن الرجحان والرجوح ، والمعرفة والعرفان ، والطواف والطوفان )) . (معاني القرآن 3 / 211 ) . فالقرآن على هذا مصدر بمعنى القراءة والتلاوة والدلالة تكاد تكون واحدة وهذا ما يطالعنا عند ابن جرير الطبري المتوفى ( 310 هـ ) إذ يقول في تفسيره : (( والواجب أن يكون تأويله على قول ابن عباس من التلاوة والقراءة ، وأن بكون مصدراٌ من قول القائل : قرأتُ القرآن ، كقولك : الخسران من خسرت ، والغفران من غفر الله لك والكفران من كفرتكَ ، والفرقان من فرّق الله بين الحق والباطل .)) . ( 1 / 90 طبعة هجر ).

والقرآنُ كتابُ هدايةِ وتشريعِ ؛ لذا فهو كتاب حياة يتجدد النظر فيه بتجدد الحياة ، وهذا يفسّر لك كثرة التفاسير التي بدأت من الرسول صلى الله عليه وآله بما كان يبوح به لأهل بيته وأصحابه من معرفةِ قرآنية على سبيل البيان أو الإجابة عن سؤال يسأله الصحابة أو تعليمهم طقوس دينهم العبادية التي جاءت مجملةً في القرآن ، وسمي هذا التفسير بالمأثور فيما بعد ، وكان يسمى التفسير في بواكير المعارف القرآنية ؛ لذلك كان الفراء يسميه التفسير فمن أقواله : هذا صوابٌ في التفسير خطأٌ في العربية ( راجع معاني القرآن 1/ 89 ) . وقد جمع السيوطي ( جلال الدين المتوفى 911 هـ ) التفسير بالمأثور في موسوعة سماها : الدر المنثور في التفسير بالمأثور .

وكان أهل البيت والصحابة يكتبون في مصاحفهم ما يتعلمونه من النبي صلى الله عليه وآله من علم وعمل في الآيات التي ينزل بها جبريل عليه السلام على صدر النبي وحياً من عند الله ، واشتهر من تلك المصاحف مصحف أمير المؤمنين علي الذي رتبه على وفق نزول الآيات وذكر فيه ما سمعه من النبي من تفسير وتأويل وما قاله النبي وفعله وأقرّه ، وهي سنته ، التي حفظها الإمام في مصحفه .وكذلك اشتُهِرَ مصحف عبد الله بن مسعود ، وأُبَي بن كعب ، وعبد الله بن عباس ، والمقداد وسواها ، وقد انطوت هذه المصاحف عل قراءات وتفسير وسنة .( راجع ما ألفه علماء الأمة من كتب في المصاحف من مثل : ( المصاحف لابن أبي داود ، والمحكم في نقط المصاحف ، لأبي عمرو الداني ، والمقنع في رسم مصاحف الأمصار ، لأبي عمرو الداني ، والَّنقط ، لأبي عمرو الداني ) .

فعلوم القرآن نشأت مع نزول القرآن ، وأول من علّمها للمسلمين هو النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلّم . كان الصحابة يجلسون حوله على شكل حلقةٍ ؛ ليأخذوا منه الوحي وتعاليم دينهم ، فهو الذي سنّ للناس سنة حلقات الدرس التي انتشرت مع انتشار الإسلام ، وكانت تجري في المساجد ، فالنظام التربوي في الإسلام بُني على مؤسستين : هما الأسرة والمسجد ، قبل أن تفصَل المدارس عن المساجد ويتوسع المسلمون في بنائها في العصر العباسي المتأخر وعلى زمن الأيوبيين الذين اتخذوا من المدارس سبيلاً لمواجهة المد الفاطمي ، كما كانوا يزعمون ، فصاروا يأمرون بتدرّيس بعض المذاهب الفقهية ويحاربون أخرى ويقتلون من يعتنقها . وأساس علوم القرآن هو التفسير وكان يجري على لسان النبي ضمن حديثه الى أصحابه وأهل بيته ، وكان يخص من بين أهل البيت والصحابة أمير المؤمنين علي بأسرار تأويل القرآن ، فالقرآن تنزيل وتأويل ، ومن بين ما قاله له ، مما جرى مجرى علم المستقبل ، يا علي ستقاتل على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله . وحصل هذا بعد مبايعة أمير المؤمنين بالخلافة إذ خرج عليه من خرج مقاتلاً رافعاً شعار القرآن والمصاحف (راجع كتب التاريخ كتاريخ الطبري ومروج الذهب للمسعودي ووقعة الجمل للشيخ المفيد ، ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ) .ثم استقل علم التفسير عن علم الحديث وصار لكل علم مصطلحه ومؤلفاته .

فعلوم القرآن هي التي نشأت في ظلال نصّه مجتمعةً في تفسيره ، وقد وردت في قول لأمير المؤمنين علي وهو يتحدث عن صلته برسول الله وكثرة ملازمته له والانتفاع بعلمه :

(( وليس كل أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، كان يسأله عن الشيء و يستفهمه . كان منهم من لا يسأل ولا يستفهم حتى لقد كانوا يحبّون أن يجيء الأعرابي أو الطاري أو الذمّي ، فيسأل حتى يسمعوا ويفهموا . ولقد كنت أنا أدخل كلَّ يومٍ دخلةً فيخليني معه أدور فيها معه حيثما دار ، علمَ ذلك أصحابه أنه لم يصنع ذلك بأحدٍ غيري ، ولربما أتاني في بيتي وإذا دخلت عليه منازله أخلاني وأقامَ نساءه ، فلا يبقى أحدٌ عنده غيري ، وكنت إذا سألتُ أجابني ، وإذا سكتُّ وفنيت مسائلي ابتدأني ، وما نزلت عليه آية في ليلٍ ولا نهار ، ولا سماء ولا أرض ، ولا دنيا ولا آخرة ، ولا جنّة ولا نار ، ولا سهل ولا جبل ولا ضياء ولا ظلمة إلاّ أقرأنيها ، وأملاها عليَّ فكتبتها بيدي وعلَّمني تأويلها وتفسيرها ونا سخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها ، و خاصّها وعامّها وأين نزلت ، وفيمَ نزلت إلى يوم القيامة )) ( تحف العقول عن آل الرسول ، للحرّاني ص 137 ) .

ويتضح من هذا النص أن الصحابة وفي مقدمتهم أمير المؤمنين عميد أهل البيت كانوا على دراية بما في النص القرآني من علوم وقد ذكر الإمام مصطلحاتها التي بقيت مستقرةً الى يومنا هذا وعلى النحو الآتي :

أولاً : ذكر نزول القرآن منجّماً ، وذكر القراءة، وجَمع القرآن وتدوينه في زمن النبي وبإشرافه.

ثانيا : وذكر أنّ القرآن تنزيلٌ وتأويل ، وذكر التفسير .

ثالثاً : وذكر الناسخ والمنسوخ .

رابعاً : وذكر المحكم والمتشابه .

خامساً : وذكر الخاص والعام ز

سادساً : وذكر المكي والمدني بقوله : أين نزلت ؟.

سابعاً : وذكر أسباب النزول بقوله : فيمَ نزلت ؟ .

وهذه المصطلحات سنقف عليها وعلى تطور البحث فيها ، ومعرفة أهم المصادر في كلّ علمٍ من علوم القرآن تلك قي وجيزٍ من القول .